مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : 34 ، العدد: 1، السنة : ٠٩ ، ص ١٢٦-١٥٤

أثر الصلاة في تشكيل الفكر التربوي الإسلامي

أ٠م٠د٠ ياسين عبد الصمد كريدي التميمي
كلية شط العرب الجامعة – قسم القانون

الخلاصة

أن الفكر التربوي الإسلامي ، موجود بشكل متفرق في كثير من كتب الفقه الأسلاميه .. والكتب التربوية التي إلفها مربوا السلف ، أو أفردوا لها فصولاً خاصة في كتبهم .. وكذلك في كتب المدارس الفلسفية الإسلامية ، التي يُشكل محتواها جميعاً النظرية التربوية الإسلامية

ويرتكز الفكر التربوي الإسلامي على أساسيات تتمثل : بالعبادات الإسلامية المختلفة التي حفل الإسلام .. وفي مقدمتها الصلاة .

وقد تناول البحث : مفهوم العبادة في الإسلام بشكل عام ، وفي الصلاة بشكل خاص .. فعرف بالصلاة، وبين أهميتها في الإسلام ، وتناول آثار الصلاة : النفسية .. والاجتماعية.. والتربوية.. والصحية ، وأختُتم البحث بمجموعة من الاستنتاجات ، والتوصيات ، التي رأى الباحث ضرورتها ، وأهميتها في هذا المجال .

المقدمة

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على وجه المعمورة ، وهو يقوم بتدريب عباده على التعايش مع البيئة الطبيعية .. والتوافق مع الجماعة التي يعيشون بينها ، وعملية التدريب هذه تهدف إلى أن يعيش الفرد الجديد الوافد إلى الحياة عيشة مناسبة منسجمة مع من حوله ، و بالتالي يبقى هذا الجيل محتفظاً بتراث الآباء والأجداد ، فيتحقق بقاء الجنس البشري ويستمر على هذه الأرض ، وتبقى القيم والنظم التي يريدها ، ومن ثم يتحقق الهدف الأساسي لكل جماعة ، وهو استمرارية بقاء ثقافتها .

ومنذ أن بدأ الناس يعيشون في جماعات تجمعهم قيم ونظم ومعتقدات وأساليب حياة معينة ، صار لكل منهم هدف في الإبقاء على أسلوبه ، ونظامه ، وطريقة معيشته، ومن هذا أصبح لكل مجموعة منهم طريقتها الخاصة في تدريب أجيالها الجديدة على الحياة ، فاختلفت الآراء حول مفهوم عملية التربية ، أو عملية التدريب والتوافق مع المجتمع المحيط ، بما فيه من عناصر طبيعة واجتماعية .. وكان الاختلاف في مفهوم العملية التربوية ، ووسائلها وطرائقها اختلافا كبيراً بين الأمم والشعوب، وذلك لأتساع ذلك المفهوم ، وشموله ، وتشعب مباحثه ، وتعدد وجهات النظر فيه، وكثرة المتكلمين به على اختلاف مبادئهم وعقائدهم ونظم حياتهم وآمالهم وأمانيهم وأهدافهم.

وتُعّرف كلمة تربية لغوية بأنها : مصدر الفعل : رَّبى يُرَبي . أما معنى التربية اصطلاحا : فهو التنشئة والتنمية .. ولكن هناك تعريفات كثيرة للتربية تختلف باختلاف نظرة المربين ، وفلسفتهم في الحياة ، ومعتقداتهم التي يدينون بها[١] .

أما نظرة الإسلام للتربية ، فأوسع من ذلك كله ، فهي منهج حياتي ، ونظام كامل يرتكز على تكوين الشخصيات المتميزة ، بواسطة تزويدهم بالأفكار والمفاهيم الإسلامية الحافزة قال تعالى ((**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**))[٢] ومن هنا كان من أبرز ما وضع العقيدة الإسلامية في مصاف الذروة من الكمال أنها اتصفت بصفات أساسية ثلاث ، وصيغت بقالب لم تعرف له الإنسانية من قبل مثيلاً ، كما أنها لن تستطيع أن تصوغ له شبيهاً .. وهذه الصفات الثلاث هي: الشمولية ، والوسطية ، والهدفية في الحياة في كل شيء علاوة على صفات أخرى كالواقعية والعالمية قال تعالى ((**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**))[٣]..من هنا جاء المنهج الإسلامي الذي رسمته هذه العقيدة ليحكم الحياة الإنسانية،ولُيحيط بكل فعاليات الحياة في كلا امتداديها الأولى ..والآخرة بما يحقق الغاية التي كانت لأجلها حياة الإنسانية على ظهر هذا الكوكب .

أن الفكر التربوي العربي الإسلامي خصب وغني بالأفكار التربوية الرائعة [٤].

وهو يتميز في أنه كان منفتحاً للحضارات الإنسانية السابقة للحضارة العربية الإسلامية ، لذلك فأننا نجد تأثير الفكر اليوناني – مثلاً– في كتابات الكثير من المفكرين والمربين العرب والمسلمين كالفارابي،وأبن مسكويه ،وأخوان الصفاء ، وأبن سينا وغيرهم .

إن الفكر التربوي العربي الإسلامي ، موجود بشكل متفرق في كثير من كتب الفقه الإسلامي ، والأدب ، وبشكل أقل من ذلك توزعاً في بعض كتب الفلسفة العربية الإسلامية وبشكل مركز في بعض الكتب التي ألفت في موضوع التربية والتعليم بالذات .. ومما لاشك فيه أن أصول الفكر التربوي العربي الإسلامي ترجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [٥].

أن الأساسيات التي ترتكز عليها التربية الإسلامية تتمثل بالعبادات المختلفة التي حفل بها الإسلام ، فقد جاء الإسلام بأنواع متوازنة من العبادات ، لم يمل في أقامتها مع المغالين ، ولم ينحرف مع المقصرين ، بل هي كما قال الله سبحانه وتعالى ((**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**))[٦] وقد حددت توجيهات الإسلام في الكتاب والسنة ، الأسس التي تقوم عليها العبادات في الإسلام ، ولئن كانت العبادات المختلفة في الإسلام ، ما هي إلا مدارس تربوية متكاملة للأفراد والمجتمعات ، فأن الصلاة تأتي في الطليعة منها .. فهي عماد الدين ... وهي الطريق القويم لبناء الإنسان الصالح ، والمجتمع السعيد .

وقد تضمن البحث مقدمة .... وستة مباحث

- تناول المبحث الأول منها : العبادة في الأسلام .. بأعتبارها المبدأ الأول الذي أنزل الله تعالى كتبه ، وأرسل رسله ، لدعوة الناس اليه ، وتذكيرهم به .

- وتناول المبحث الثاني الصلاة ، ومعناها ، وأهمية الصلاة في حياة المسلم .. ومنزلتها الكبرى في الأسلام فهي عبادة لا تعدلها أية عبادة أخرى . وتناول المبحث الثالث : الآثر النفسي للصلاة ، باعتبارها ضرورة نفسية ، وأثرها في تنمية الثقة بالنفس ، ومقاومة التوتر ، والخوف ، وأهميتها في التوازن النفسي ، وسكينة النفس ، وفي الشفاء من عقد الذنب .
- وتناول المبحث الرابع : الآثر الأجتماعي للصلاة .. وصلاة الجماعة كأداة للتغيير الأجتماعي ، وأثر الصلاة في وحدة المجتمع وتساوي أفراده .
- وتناول المبحث الخامس : الأثر التربوي للصلاة .. باعتبارها مسؤولية تربوية جماعية .
- وتناول المبحث السادس : الأثر الصحي للصلاة . .إذ هي رياضة تلقائية : تختلف عن الرياضة المقصودة .. ولها مُعطى نفسي مؤثر على الوظائف الجسدية المتنوعة .

وقد كان الدافع لاختيار الباحث لموضوع هذا المبحث هو بيان ما للصلاة من أهمية في حياة المسلمين وفي تربية أجيالهم .

وأستعمل الباحث في بحثه هذا المنهج الوصفي التحليلي مُعتمداً في ذلك أمهات المصادر: أبتداءاً بالقران الكريم (كتاب المسلمين الأول) وكُتب السنن ، ومؤلفات مؤلفي السلف الصالح وأنتهاءاً بكتب المؤلفين المُحدَثين .

وأختتم الباحث بحثه بجملة من الاستنتاجات والتوصيات ، وبخلاصة للبحث للعربية والانكليزية .

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية موضوعه وهو ((الصلاة وأثرها في تشكيل الفكر التربوي الإسلامي)) .. فمما أشتهر على لسان كل مسلم ووقر في قلبه أنَّ الصلاة عمود الدين ، والحق أنها كذلك ، فقد جُعلت الحد الفاصل بين الإسلام وغيره ، ولم يُعطها الإسلام هذه الصفة ، ويجعلها عمود الدين ، وذروة سنامه ... إلا لمكانتها السامية ، وجلال قدرها ، وعظيم أهميتها عند الله ورسوله ، فقد أمرنا سبحانه وتعالى : بالمحافظة عليها ،فقال : (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ)[٧] .

وقال (ﷺ) : ((أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة ((الصلاة)) فأن صَلَحَت صَلَح سائر عمله ،وأن فَسَدَت فَسَدَ سائر عمله)[٨]

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الصلاة طريق الفوز والفلاح والسعادة والنجاح في العاجل والآجل..فقال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ()الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)[٩] .

ولأهميتها التربوية قال (ﷺ) ((مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً ، واضربوهم إذا بلغوا عشراً)) فطلب (ﷺ) من الآباء تعليم أولادهم الصلاة ، كي يعتادوا منذ الصغر على تقويه صلتهم بربهم ، لأن في الصلاة استمرارية الصلة بين العبد وربه يناجي فيها المصلي ربه أنه يهديه على أن يستمر في السلوك المستقيم ، حيث يقول يومياً لربه عشرات المرات أهدنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ()صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ

المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ))[١٠] كما تبرز أهمية البحث .... لما في مُوضوعه ((الصلاة)) من الآثار النفسية ، والاجتماعية ، والصحية والتربوية ، التي تتشكل من خلالها شخصية الفرد ويتحدد سلوكه .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى أبراز وتأكيد ((دور الصلاة الوقائي والتربوي)) فالصلاة ركن من أركان الإسلام ، وفرض يُحتم على الأنسان القيام به ، مادام باقياً على قيد الحياة ، لأن هذه العبادة تمنع الإنسان من كل سلوك إجرامي ، ومن كل نوع من أنواع الانحراف ، أن هو قام بها بصورة صحيحة ، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قول الحق تبارك وتعالى((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ))

فالصلاة تنهى وتمنع المصلي عن الأنحراف وأنتهاج السلوك الإجرامي ، إذّا أدَّاها بروحها ،لا بصورتها .. وبحقيقتها ، لا بشكلها ،الذي اخذه تقليداً عن الأباء ، دون الشعور بأهميتها ، وبالغاية الأساسية من أدائها .. ثم أن الصلاة مدرسة تهدف الى التمرين على الرياضة البدنية الصحية ،وعلى نظافة الجسم ، ونظافة الملابس ، ونظافة المكان ، ونظافة القلب .. لأن هذه النظافات كلها من شروط صحة الصلاة .

بالإضافة الى كل ذلك فإن استمرارية الصلاة تَهدف إلى توليد طاقة روحية ترافق العامل في معمله ، والمُزارع في حقله ، والموظف في عمله ، والمعلم في مدرسته ، والأم في بيتها ، والسلطة حين تُمارس مسؤولياتها .

ويؤكد هذه المعاني قوله(ﷺ) (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ....)[١٢] .

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في ((الانفصام الكبير)) بين الصلاة كشعيرة أسلامية عظيمة مفروضة على كل مسلم مُكلَّف (بالغ عاقل راشد) تكمن وراء تشريعها حكمة ربانية جليلة .. تتمثل في قول الحق تبارك وتعالى ((إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ)) . .وبين سلوك كثير من المسلمين الذين يؤدون الصلاة شكلاً بلا مضمون .. فلا تجد أي أثر لصلاتهم في سلوكهم ، ولا في أفعالهم المنافية لحكمة تشريع هذه الفريضة قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ).. فمثلهم كمثل المستهزء بالله عزَّ وجلَّ .. وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال : (التائب عن الذنب والقائم عليه .. كالمستهزء بالله) وقوله (ﷺ) أيضاً ((مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد عن الله إلا بُعداً))[١٥].

اجراءآت البحث :

يستخدم الباحث في بحثه هذا : المنهج الوصفي التحليلي ، مُعتمد في ذلك المصادر الموثوقة : أبتداءاً من القرآن الكريم ، كتاب المسلمين الأول .. وكتب السنن ، ومؤلفات مؤلفي السلف ، والمراجع الحديثة ، مُتقصياً بمنهجه هذا كل ما يساهم في أثراء بحثه وترصينه ، وتحقيق أهدافه .

المبحث الأول

العبادة في الإسلام

إذا أُطلقت كلمة العبادات اليوم فلا يكاد يفهم السامع أو القارئ من ذلك إلا الشعائر التعبدية المعروفة والمشهورة بين الناس ، والتي أفرد الفقهاء في كتبهم أبواباً خاصة بها تحت أسم ((العبادات)) وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة ، وهذا شائع بين الدارسين و غيرهم على السواء .. ومما ساعد على شيوع ذلك : أن الفقهاء قسموا أعمال العباد إلى عبادات ومعاملات وأخلاق وغير ذلك .. وللفقهاء العذر في ذلك فقد لاحظوا أن بين الأعمال الشرعية فروعاً عدة جعلتهم يذهبون إلى هذا التقسيم ، غير أن ذلك قد ترك بمرور الأيام آثاراً سيئة في حياة المسلمين ، حيث أصبح المفهوم عندهم أن العبادات محدودة بالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وأن الإسلام محصور في ذلك .. وهذا لا يتناسب مع المعنى الصحيح للعبادة ، ولا مع روح الإسلام ، ومقاصد الدين الحنيف ، فالناظر في نصوص القران الكريم و السنة المطهرة ، يجد إن مدلول العبادة فيهما شامل كامل ، لا يقتصر على الفرائض المعروفة ، و لا يقف عند حدود الشعائر المشهورة .. بل يشمل الحياة كلها ، ويضم كل حركات الإنسان وسكناته ، فالحياة في منهج الله عز وجل وحده كل ما فيها لله [١٦].

وليس مجالنا هنا البحث في ((الأحكام الفقهية)) للعبادة ، وإنما البحث في حقيقة العبادة ومنزلتها وأسرارها ، أو ما يسمى بفلسفة العبادة في الإسلام .

ولو شئنا كلمة إسلامية أصيلة نعبر بها عن هذا المعنى لكانت (فقه العبادة) لا بالمدلول الاصطلاحي الذي شاع وأصبح عنواناً على معرفة الأركان والشروط والأحكام الظاهرة والجزئية .. بل بالمدلول التربوي الذي جاء به القران والسنة في مثل قوله تعالى ((**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**))[١٧] و ((**لِيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**))[١٨] وقوله (ﷺ) ((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**))

والعبادة ليست أمراً على هامش الحياة ، بل هي المبدأ الأول الذي أنزل الله كتبه وأرسل رسله لدعوة الناس إليه ، وتذكيرهم به إذا نسوه أو ضلوا عنه ، ولهذا خاطب خاتم رسله محمد (ﷺ) بقوله تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))[١٩].. وكانت الصيحة الأولى في كل رسالة ((**أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**))[٢٠] و((**اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيرهُ**))[٢١] ولما ختم الله عز وجل كتبه بالقران الكريم وختم رسالاته بالإسلام الحنيف ، وختم النبيين بمحمد (ﷺ) ، أكد هذه الحقيقة ، وأعلن في كتابه الكريم : أن الغاية من خلق المكلفين هي أن يعرفوا الله ربهم ويعبدوه ،

فهذا سر خلق هذا الجنس الناطق المفكر في هذا العالم ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ))[٢٢] .

بيد أن بعض الناس – حتى من المسلمين أنفسهم – ظلموا (العبادة) وحرفوها عن حقيقتها : فهماً وأسلوباً ، ونظراً وتطبيقاً ... فوجدنا من الناس من لم يَعّدوا عبادة الله سبحانه وتعالى غاية تُطلب لذاتها ، أنما هي مجرد وسيلة لتهذيب النفس ، وتربية الضمير ، وهي ليست ، عندهم ، الوسيلة الوحيدة ، ولا الوسيلة المثلى ، ففي الاستطاعة الاستغناء عنها بغيرها من الوسائل ((المدنية)) التي تتخذها بعض الشعوب أو الدول ، حتى الملحدة منها ، لتكوين المواطن الصالح .

ووجدنا من الناس من أمنوا بقيمة العبادة ومنزلتها ولكنهم وجهوها لغير مستحقها ، لغير الله ((**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**))[٢٣] فاتخذوا مع الله ، أو من دونه ، آلهه أخرى ، أو أتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، حتى رأينا في المتأخرين من المسلمين أيضاً من لوثه هذا الضلال ، فمنهم من يعظم غير الله ، أو يقدس غير الله ، أو ينذر لغير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو يطيع ، أطاعة مطلقة ، غير الله .

ووجدنا من الناس من أمنوا بمنزلة العبادة ، ووجهوها إلى مستحقها سبحانه وتعالى ولكنهم لم يعبدوا الله بما أمر به ولم يتقيدوا بما شرع لهم من طرائق العبادة وصورها ، فشرعوا منها ما لم يأذن به الله ، وسنوا ما لم يسنه رسول الله (ﷺ)، فشددوا على أنفسهم ، وانحرفوا عن سواء الصراط ، وأحاطوا العبادات بالبدع والضلالات ، التي ورثوها من الذين ضلوا من قَبلهم من أتباع الديانات ، غافلين عن الإصلاح العظيم الذي جاء به دينهم في مجال العبادة ، حيث قَوُّم عوجها ، وأبطل زائفها ، ووضع لها الأصول والمبادئ التي تحميها من الغلو والانحراف .

كما وجدنا آخرين قد فهموا معنى العبادة – التي جعلها الله غاية الخلق ، فهماً جزئياً قاصراً ، فهي لا تعدو أداء الشعائر المعروفة من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وما يلحق بها من الذكر والتلاوة والدعاء [٢٤] .

وبهذا الفهم المبتور للعبادة ، لا يبالون فيما قَصَّروا فيه بعد ذلك من أوامر الإسلام ونواهيه ، وأحكامه ووصاياه ، التي تستوعب كل مجالات الحياة ، مع أن العبادة كما جاء بها القرآن والسنة ، وكما فهمها خير قرون هذه الأمة : تشمل الدين كله ، وتشتمل الحياة كلها ، فهي مدرسة تربوية متكاملة ،، لتربية الفرد المسلم ، ولتربية المجتمع المسلم .

إن عبادة الله سبحانه وتعالى ، التي دعا إليها الإسلام ، تعني الدعوة إلى الصدور عن أوامر الله في كافة النشاطات البشرية .. والمجتمع المسلم الذي يستجيب لهذه الدعوة ، ويصدر في سلوكه عن أحكام الإسلام ، فهو مجتمع عابد لله ، يتعبد له سبحانه بالنشاطات المطلوبة لحياته ، سواء في ذلك تطبيقه لنظرية الحكم ،وتصريف الجهاز الحاكم لقضايا الأمة ،وتطبيقه لنظام الإنتاج والتوزيع ، وتطبيقه لفرائض

الصلاة والصيام والحج ، والجهاد ..... فكلها ألوان من العبادات ، يتعبد المسلمون بها بأمر الله ، ويصدرون فيها عن أرادته .

وتشريعات الإسلام من حيث صلتها بعبادة الله سبحانه ، على درجة واحدة ، من دون فرق بين أحكام توزيع الثروة ، وأحكام الجهاد ، وأحكام الصلاة ،وتلاوة القران ، وغيرها .

فجميعها أحكام للحياة ، لاستقرار صلاحها وسعادتها .. وجميعها أحكام يتلقاها المجتمع المسلم من الله سبحانه ، ويتعبد له بتطبيقها ، وبالتالي فكلها عبادات لِلِه ... وبكلها تتضح إنسانية هذا الإنسان ، وتسير قدماً في تكاملها .

فالعبادات منهج تربوي رباني ، تُرسي دعائم الخير والصلاح بين الأفراد والمجتمعات ، فترتفع بالفرد المسلم ، وبالمجتمع المسلم ، إلى أسمى درجات العبودية لله وحده ، وإلى أشرف درجات الكمال ، الذي أراده الله سبحانه للإنسان ، والذي من أجله كرم الله سبحانه وتعالى بني أدم ، فجعل الإنسان خليفة في الأرض ، وهو أغلى درة في تاج الوجود ، .. وتأتي الصلاة في صدر هذا المنهج التربوي الرباني القويم .

المبحث الثاني

الصلاة

معنى الصلاة :

الصلاة عبادة مشتركة بين الديانات ، وهي لون من ألوان الأبتهال الى الله وكلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام ، بل أستعملها العرب قبل الأسلام بمعنى الدعاء والاستغفار ، وهي مشتقة من الصلة لأنها تصل الإنسان بخالقه ، وتقربه من رحمة ربه[٢٥].

أما الإسلام فأطلق لفظ الصلاة على الصورة المعهودة من العبادة التي علمها الرسول (ﷺ) ، للمسلمين ، وهي ، أقوال وأفعال يُقصد بها تعظيم الله ، مُفتَتَحة بالتكبير (الله اكبر) ومُختَتَمة بالتسليم (السلام عليكم) ، بشروط خاصة وضعها لذلك .

وقد فرض الله الصلاة على المسلمين للثناء عليه بما يستحقه من حمد وتمجيد على نعمه التي لا تُحصى ، كما فرضها عليهم لِيُذكّرهم بأوامره ، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقون من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا .

ومن أروع ما عُرّفت به الصلاة ما قاله الأستاذ (أجوست سباتييه) مدرس الفلسفة في جامعة باريس ، في كتابه ، فلسفة الدين، ((أننا نستطيع الآن أن نستخلص أصل الدين ، وأن نضع له تعريفاً ، فهو صلة وعلامة معروفة ومُرادَة ، تُنشئها الروح المكروبة ، بينها وبين القدرة الخفية التي تشهد هي أنها تابعة لها ، وأن مُقَدّراتها تحت مشيئتها : فالصلاة هي الدين في حالة العمل أو هي الدين الحق)) ثم يقول ((والدين لا يكون شيئاً يُعتد به إذا لم يكن عملاً حيوياً بواسطته تحاول النفس أن تنجو من الهلاك بالتجائها إلى أصلها الذي نزلت منه ، وهذا العمل هو الصلاة ، وهي كما أعنيها ليست التلفظ بكلمات ، أو ترديد

عبارات ، ولكنها الحركة التي تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية واتصال مباشر بالقدرة الخفية التي يحس الإنسان بوجودها حتى قبل أن يستطيع أن يطلق عليها أسماً ، فحيث لا توجد هذه الصلة فلا يكون هناك دين))[٢٦] وما تطرق إليه هذا الأستاذ من بيان أهمية الصلاة قد سبقه إليه رسول الله (ﷺ) فقد جاءه وفد قبيلة ثقيف راغبين إليه أن يعفيهم من الصلاة فأبى رسول الله ، وقال لهم هذه العبارة التي تنطوي على أهمية الصلاة : ((لا خير في دين لا صلاة فيه)) وقال لقوم آخرين ((العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر))[٢٧]

أهمية الصلاة في الإسلام :

للصلاة منزلة كبرى في الإسلام : لا تعدلها أية عبادة أخرى ، فالصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به ، وجاء في القران الكريم : (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)[٢٨] وجاء أيضاً : ((فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ))[٢٩] وقد أستدل بعض العلماء من هذه الآية على كفر كل تارك صلاة ومانع للزكاة ،ذلك بأن الله أشترط في هذه الآية لتحقق الأخوة في الدين ، والدخول في الإسلام ثلاثة شروط : التوبة من الكفر ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فانتفاء أحد هذه الثلاثة يقتضي انتفاء ما جُعلت شرطاً له وهو الإسلام ، وقال الرسول محمد (ﷺ) ((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا أله لا الله وأن محمد رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت)[٣٠] وروي عنه (ﷺ) أنه قال أيضاً : ((بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة))[٣١] ولا عجب بعد هذا التأكد من القران والسنة على أهمية الصلاة أن نرى أن بعض أئمة الإسلام يرون أن تارك الصلاة كافر ، ويرى البعض الأخر أنه عاص فاسق يُعزَّر ويُحبس ، ثم يُضرب ، حتى يعود الى الصلاة .

والصلاة أول عبادة فُرضت على المسلمين ، وقد فُرضت في مكة قبل الهجرة بنحو سنة ونصف سنة: وفرضت وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج ، بمخاطبة الرسول(ﷺ) بفريضة الصلاة ، فكان ذلك دليلاً على عناية الله بها[٣٢] .

وبلغ من اهتمام الرسول (ﷺ) بالصلاة أن أوصى الآباء بأن يأمروا أولادهم بالصلاة ، إذا بلغوا سبع سنين ، ويضربوهم على تركها إذا بلغوا عشراً ، فقد فقال : ((مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع))[٣٣] والغاية من ذلك تكوين عادة الصلاة عندهم فلا يصعب عليهم متى كبروا وشبوا أن يؤدوا صلواتهم ، وحتى تصبح الصلاة وما فيها من فائدة جزءاً من تفكيرهم وسلوكهم . وهو توجيه تربوي من لدن الرسول المعلم (ﷺ) في غاية الأهمية والكمال . وقد كانت الصلاة أقدم عبادة ، لأنها من مستلزمات الأيمان ، لم تُخلُ منها شريعة من الشرائع ، وقد جاء الحث على أدائها على السنة جميع الرُسل والأنبياء لما لها من أثر تربوي عظيم في تهذيب النفوس ، والقربى من الله[٣٤].

المبحث الثالث

الأثر النفسي للصلاة

الصلاة ضرورة نفسية :

يقصد بالأثر النفسي للصلاة :(الانفعالات الشعورية التي تحدثها الصلاة في النفس، نتيجة لما تُقدمه من رؤية عقلية ، أو تنمية لغرائز الخير ، أو تهذيب لغرائز الشر.)[٣٥]

ومما لا ريب فيه أن النوع الإنساني يحتاج لأجل أن يحيى حياة طيبة إلى عامل نفسي يحد من نزعته الوحشية ، ويصده عن الانقياد لطبيعته الحيوانية ، والصلاة هي التي تدفعه للتجرد من الأحوال البهيمية ، والتخلق بالأخلاق الإلهية في أرفع ما يتخيله العقل من نزاهة وسمو خلقي .

أما من الناحية النفسية ، فالإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها ظهرت عليه أعراض القلق والاكتئاب ، بسبب ما يلاقيه من مصائب وخيبة أمل ، فيحاول التغلب على ما يعانيه من قلق بتعاطي المخدرات ، وشرب الخمر .. وما المغامرة وركوب الشطط في إشباع الدافع الجنسي إلا محاولة للهروب مما يعانيه صاحبها من آلام نفسية ، وهذا كله يؤدي إلى إضاعة صحته ، وتبديد أمواله ، وأضعاف مواهبه .. بينما الصلاة تتيح للمرء أن يسأل بارئه كل ما يُريد ، الأمر الذي يُنفس عن مشاعره ، ويُحدِث فيه عقيدة إطاعة أوامر الله : كالصبر والثبات ، كما تدعوه إلى الالتجاء إلى الله عند تعاقب الكوارث ، ليستمد منه القوة وحسن التصرف للقيام بأعباء الحياة ، فيشعر حينئذ بنفحة مشجعة ، وطمأنينة شاملة ، تعينه على التغلب على كل الأعباء التي ينوء بحملها .

وقد أثبتت الدراسات النفسية فائدة الصلاة والعبادة .. فقد أجرت مصلحة تشغيل العاطلين بمدينة نيويورك اختبارا نفسياً على (١٥٣٢١) شخصاً من الرجال والنساء المتعطلين ، وفي ضوء هذا الاختبار أمكن توجيه كل منهم إلى المهنة المناسبة له ، وقد عُين (الدكتور هنري لنك)أحد علماء النفس التجريبي مستشاراً خاصاً في هذه العملية ، وقام بوضع الخطط ومراقبة الدراسات الإحصائية المستخلصة لعشرة الآف شخص ممن أُجرى عليهم الاختبار وقد سجل تقريراً شخصياً شاملاً لكل فرد منهم ، فيقول في ذلك : ((وفي هذا الوقت بالذات بدأ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الإنسان ، وقد استخلصت من هذا الاختبار نتيجة مهمة هي : أن كل من يعتنق ديناً ، أو يتردد على دار العبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له ، أو لا يزاول أية عبادة))[٣٦]

فالصلاة تجعل الإنسان لا ينسى نفسه فيضيعها .. وتنمي الثقة ،وتقاوم الخوف والتوتر وتحفظ للنفس توازنها .. وتمنحها الأمل المتجدد .. وتصل بها الى السكينة .

حتى لا ينسى الناس أنفسهم :

الصلاة صلة بالله تشمل حياة المصلي كلها ، من مطلع يومه حتى انتهائه ((فَسُبْحَانَ اللَّـهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ))[٣٧] وهي صلة مباشرة ليس فيها أية واسطة ، فعندما تلقاها الرسول (ﷺ) ، لم

يتلقها عن طريق وسيط ، وإنما تلقاها من الله مباشرة ، وبهذا تتميز الصلاة عن أي تكليف أخر من أله سبحانه لعباده التي جاءت كلها عن طريق الوحي وعلى الأرض .

والبعدُ جفوةٌ كما يقول الناس ، وأن الذي يقطع حبل اتصاله بالله وذلك بإهمال الصلاة فأنه ينسى الله فلا يتذكره إلا في أوقات الشدة ، وهنا فقط يتذكر ، وحتى الذين يُصَلّون وهم ساهون عن معنى الاتصال بخالقهم ، قال الله فيهم ((فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ()الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ))[٣٨] أنهم لا يتصلون حقاً بالله ، وإنما هم غافلون عنه ، ولذلك قال تعالى ((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)[٣٩]

وحين تستنفذ الخطوب كل قِوانا ، أو تسلبنا الكوارث كل أرادة ، غالباً ما نتجه في غمرة اليأس إلى الله .. فلماذا بالله ننتظر حتى يتولانا اليأس ؟! ، لماذا لا نجدد قِوانا كل يوم بالصلوات والحمد والدعاء.

هذا البعد والنسيان عن الاتصال بالله في الصلاة هو الذي يجعل الإنسان ضائعاً وحيداً في الحياة ، ويقول ((و . ج ماكبريد)) عالم النفس المعروف : ((أن الاعتقاد يزداد اليوم ، بأن معظم حالات المرض النفسي ترجع إلى هذه الحقيقة ، وهي أن فقدان الثقة بالله يفقد الإنسان ثقته بنفسه ومن حوله ، وضعف هذه الثقة ، يجعل الإنسان عندما تواجهه أزمة من الأزمات أو مشكلة من المشكلات لا قوة له على احتمالها ، يلتمس سبيل اليأس ، فيلتجئ إلى الشراب والمخدرات والانتحار ،وقد يصل به الأمر إلى الجنون))[٤٠] .

وليس غريباً أن تحمل ألينا الأنباء أن معدل الانتحار والجنون مرتفع جداً في البلدان المزدهرة مادياً ، لكنها لا تهتم بالناحية الروحية ، مثل البلد الذي وصل فيه مستوى معيشة مزدهرة مادياً ، ولكنها لا تهتم بالناحية الروحية ، مثل البلد الذي وصل فيه مستوى معيشة الفرد إلى أعلى مستوى في العالم وهو السويد .. ومن أين تأتي لهؤلاء المرضى الثقة بالله ، إلا إذا واظبوا على الاتصال به بالصلاة ، ولذلك نجد أن هناك فرقاً واضحاً بين حال المؤمن و حال الملحد ، وهناك بوصلة تحدد للمؤمن اتجاهه في الحياة حتى لا ينسى الله ، فهو دائم الاتصال به في صلاته ، فيعرف نفسه ، وحقيقة وجوده، ومصيره ، وماذا يبغي من الحياة .. أما الملحد فيعتقد أنه جاء من العدم ، وأن كل ما حوله من مخلوقات أوجدتها الصدفة العمياء .. لا يعرف بالضبط أين هو من هذا الكون ؟ ، تائه و غارق في مادياته ، وتبتلعه دوامة شهواته الحسية وهي الحقيقة التي لا يعرف ولا يعترف إلا بها .. فإذا قابله موقف لا يقدر عليه ضاع والتمس الحلول الهروبية .. ويُلخص القران الكريم هذا المعنى ((نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ))[٤١].

من الآثار النفسية للصلاة تنمية الثقة بالنفس :

للصلاة ثلاثة عناصر أساسية تنمي الثقة بالنفس هي :

الثقة بالله .. والعناية بالمظهر .. والقضاء على العزلة الاجتماعية ، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

الثقة بالله هي التي تقوي الثقة بالنفس ، والصلاة هي الرابطة التي تُقوي من ثقة المخلوق بخالقه ، لأنه بمداومة الصلاة وهي أساس العبادة في الإسلام يصل الإنسان إلى اليقين ، ولذا فالصلاة بالضرورة تُنمي

ثقة الإنسان بنفسه ، وهذه الحقيقة قال بها عالم النفس المعروف ((و. ج ماكبريد)) ، حيث ذكر ((أن فقدان الثقة بالله يجعل الإنسان يفقد ثقته بنفسه ،وبمن حوله)) .

والصلاة تعني الاعتناء بالمظهر ، قال تعالى ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)) [٤٢]وليس معنى ذلك المغالاة في الاهتمام في المظهر ،ولكن الاعتناء بنظافة الثوب وحسن المظهر . والمظهر جزء مهم في الصورة الاجتماعية ، وإذا كان المظهر حسناً دون تطرف ، فأن ذلك يُعطي أحساساً بالثقة بالنفس ، والأعتناء بالمظهر عند كل صلاة يُعطي للمصلي المواظبة على الأهتمام بمظهره ، فيصبح المظهر اللائق صفة ثابتة من صفاته ،فلا يكون قلقاً على هندامه و مظهره (فلا تهتز شخصيته)) والرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) يقول (أن الله جميل يحب الجمال))[٤٣] وتتيح الصلاة للإنسان اللقاء المواظب عليه مع جماعة المصلين ، فيتعلم كيف يُعامل الناس ، ويعرف ما يحبون وما يكرهون ، فلا يكون منعزلاً عنهم بل يخالطهم ، ويتصل بغيره من الناس .. أن صلاة الجماعة ضرورية في الإسلام ، فصلاة الجمعة لا تصلح إلا جماعة ، وثواب الجماعة اكبر من ثواب الفرد بكثير ، والله سبحانه وتعالى خلق الناس ليتعارفوا ويقيموا بينهم الروابط الاجتماعية ، ويقول سبحانه في كتابه الكريم ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا))[٤٤] ، والمجال الأمثل لا كتساب الثقة بالنفس يكون في خِضَمِّ الناس ، ومعرفة كيفية الاتصال بهم ، والتعامل معهم، فمعرفة ماذا يحب الناس وماذا يكرهون ، يزيد من ثقة الإنسان بنفسه ولذا نرى أن الفرد الاجتماعي يتمتع بثقة في النفس أكثر من الشخص الانطوائي الذي لا يهتم بالناس[٤٥].

<u>من الآثار النفسية للصلاة مقاومة التوتر :</u>

تكاد تكون من طبيعة الإنسان صفة ((الاستعجال)) ، ((خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ)) [٤٦]والرغبة في اكتشاف المجهول ، وعبور حواجز اللحظة الحاضرة ، تواق دائماً أن يعبر الجسور قبل أن يصل إليها ، عند ما يكون طفلاً يتوق إلى أن يصل إلى مرحلة الشباب اليانع ، وعندما يصل إلى مرحلة الشباب تجتذبه آمال الرجولة والزواج ، وتشده الرغبة في أن يجد أطفاله قد كبروا ، وعندما يصل إلى مرحلة متقدمة في السن يجد أن الحياة كان الأجدر به أن يحيى كل دقيقة فيها ، ويقصد كل لحظة فيها يوفيها حقها ، بدلاً من أن يعيش في لهفة المستقبل .. و الله سبحانه وتعالى يشير إلى هذا المعنى في قرآنه الكريم بقوله ((وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً))[٤٧].

وصمام الأمان الذي يعيد للإنسان توازنه ، فلا يُسرف في اللهفة والعجلة في أمره هو الصلاة ، لكن ليست أية صلاة ، أنما صلاة الاطمئنان ، وهي الصلاة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) [٤٨]وليست الصلاة المتعجلة السريعة وكأن المصلي فيها في سباق مع نفسه ، وهي التي سماها الرسول صلى الله عليه واله وسلم ((بنقر الغراب)) .

فصلاة الاطمئنان تدريب منتظم ومواظب عليه ، في عدم اللهفة في الوصول إلى النتيجة وهي الانتهاء من الصلاة ، وإنما صلاة تؤدى بتأن واتزان ، حتى لا يذهب من المصلي خشوعه ، وتصاب نفسه

بالتوتر ، وسوف تنتقل صفة الأطئمنان في الصلاة إلى سائر الأعمال الأخرى ، فتؤدى بتأنٍ .. وتقضي بالتدرج على اللهفة في أنجاز الأعمال ..

من الآثار النفسية للصلاة مقاومة الخوف :

تقف الصلاة سداً منيعاً أمام الخوف .. أن الذي يعرف شخصية هامة في الدولة .. أو يكون له قريب يشغل منصباً كبيراً فيها ، فأنه يشعر هنا

من يحتمي به .. فكيف بالذي هو دائم الاتصال بالله بصلاته ، أنه لا يخاف أي شيء وهو مع الله .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : ((أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فأستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على إن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وأن الأمة لو اجتمعوا على إن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت

الصحف)) [٤٩] ويقول الله سبحانه وتعالى ((قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) [٥٠] .

أن الصلاة تقاوم الإحساس بالخوف – وهو من أسوأ المشاعر الإنسانية –وفي هذا الخصوص يقول (ديل كارينجي) : ((أن الخوف يسبب القلق ، والقلق يسبب توتر الأعصاب ، واحتداد المزاج ، وه ذا يؤثر في أعصاب المعدة ، و يحيل العصارات الهضمية إلى عصارات سامة ، تؤدي في كثير من الأحيان إلى قرحة المعدة)) .

وأن أطباء النفس يدركون أن الأيمان القوي ، والاستمساك بالدين والصلاة ، كفيلة بأن تقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبي ، وان تشفي كثيراً من الأمراض النفسية. نعم أن أطباء النفس يدركون ذلك ، وقد قال ((أ . أ . ، بريل)) أحد أطباء النفس المشهورين: ((أن المرء المتدين حقاً لا يُعاني قط مرضاً نفسياً))[٥١].

والله سبحانه وتعالى ينبهنا إلى أثر العبادة وعمادها الصلاة ، فيقول تعالى : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))[٥٢] فكلما زادت صلة المخلوق بخالقه بالعبادة والصلاة ، وصل إلى قدر اكبر من اليقين ، وهذا اليقين هو القادر على طرد الخوف من النفوس .. ويقول الله تعالى ((أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[٥٣] فَذِكر اللهِ في الصلاة يُطَمئن النفس ، ويطرد ما بها من الخوف .

من الآثار النفسية لصلاة التوازن النفسي :

الصلاة عملية تفريغ شحنات انفعالية ثقيلة على النفس ، خاصة في أثناء السجود ، والرسول صلى الله عليه واله وسلم يقول : ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء))[٥٤] ويقول الله سبحانه وتعالى : ((وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ))[٥٥]

فأثناء السجود تكون المناجاة الخاشعة الخالصة التي ليس فيها رياء ، فالمصلي يقوم بتفريغ الهم الذي يمتلئ به صدره ، في كلمات يعبر بها عما يثقل على نفسه وأن علم النفس يؤكد أن الذي تنوء بكاهله المتاعب سوف يجد راحة النفس عندما يُشاركه صديق له في سماع مشكلته .. فكيف بنا ونحن نشكو في سجودنا الى الرحمن الرحيم.

قال الدكتور ((الكسيس كاريل)) (الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عُرفت الى يومنا هذا ، وقد رأيت بوصفي طبيباً ، كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم ، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً ، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم ،أن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر الإشعاع ، ومولد ذاتي للنشاط ، وبالصلاة يسعى الناس الى استزادة نشاطهم المحدود ، حين يُخاطبون ((القوة)) التي تهيمن على الكون ، ويسألونها ضارعين أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة ، بل أن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ، و لن تجد أحداً تضرع إلى الله مرة ، إلا عاد التضرع عليه بأحسن النتائج) .

ويعطينا الله سبحانه وتعالى سلاح الصلاة ، ليكون من أهم الأسلحة في مواجهة شدائد الحياة ، ومواقفها الصعبة ، فيقول سبحانه ((وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)[٥٦] ولكن هذا السلاح لا يستطيع أن يستخدمه إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ()الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[٥٧]

فالصلاة تعيننا على التعبير بأمانة ودقة عما يشغل أنفسنا ويثقل عليها ... كما أنها تحفزنا على العمل الجاد المثمر .. وتساعدنا على الاحتفاظ بتوازننا النفسي .

من الآثار النفسية للصلاة أنها سكينة للنفس :

إن سكينة النفس هي الحالة الناضجة ،التي يصل إليها المؤمنون ، بعد ان وصلوا إلى قدر كبير من اليقين لا يأتي من تلقاء نفسه ولكن يحصل عليه الإنسان بالعبادة ، وعمادها الصلاة ، فلا يصل المؤمن الى سكينة النفس إلا إذا كان من المصلين ، فيمنحه الله هبة سكينة النفس ، التي لا يُعطيها إلا لعباده المخلصين ، والطريق للوصول الى مرحلة اليقين التي تتوج بسكينة النفس مذكور في القران الكريم ، قال تعالى : ((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))[٥٨] والنفس تحتاج إلى تزكية حتى تتشرب السكينة ، وهذه التزكية لا تأتي من فراغ ، وإنما لابد من العبادة وأهمها الصلاة حتى تتزكى النفس ، والإنسان الذي بلغ سكينة النفس لا يهتز أمام تقلبات الحياة ، فهو متأكد يقيناً أن الحياة الدنيا ما هي إلا مقدمة قصيرة للحياة الحقيقية ، وهي الحياة الآخرة ، لأنه مؤمن بالقدر خيره وشره ، فلا تصبح نفسه ميداناً للانفعالات النفسية ، وإنما يتمتع بنضيج نفسي يصمد لتيارات الحياة المختلفة[٥٩]. فسكينة النفس مرحلة متقدمة من الأيمان ، يهبها الله سبحانه لعباده المؤمنين ليزدادوا إيماناً ((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ))[٦٠] فأمر المؤمن كله خير ، يرضى بحكمة الله العُليا ، ويحمد الله على كل شيء .

وقد كُتب عن سكينة النفس في السنوات الأخيرة عشرات الكتب ، بعد أن ثبت أن ما تضيفه السكينة على الإنسان ، لا يتمثل في حيز معنوياته فقط ، بل يتجاوز ذلك حتى يشمل وضائفه المعنوية ، وصحته البدنية والعقلية.. ومن أحدث ما كتب في هذا الشأن ما نشره الدكتور ((ي . ليمبان)) في كتابه ((سكينة النفس)) حيث يقول : ((أن سكينة النفس هي الهبة التي يدَّخرها الله لأصفيائه ، إنه يُعطي الكثيرين الذكاء و الصحة ، والمال والشهرة .. أما سكينة النفس فأنه يمنحها بقدر[٦١] .

من الآثار النفسية للصلاة أنها تُشفي من عقدة الذنب :

أن الصلاة تعتبر علاجاً للأضرار التي تتولد من عقدة الذنب .. وعقدة الذنب كما يرى علم النفس هي استعداد لا شعوري يُكره الفرد على الشعور الشاذ بالذنب ، وعلى القيام بأعمال مختلفة لإيذاء نفسه وعقابها وإذلالها والغض من شأنها للتكفير عن ذنوب يتوهم أنه أرتكبها .

وتنشأ هذه العقدة في بواكير الطفولة ، من مرتبةٍ تُسرف في لوم الطفل وتأنيبه وعقابه و أشعاره بالذنب من كل ما يفعل أو تُمعن في تهويل أخطائه ، وتهوين حسناته ، مما يؤدي إلى تضخم خبيث في تكوين ضميره .. فإذا بهذا الضمير يُحاسب الفرد على الهفوة و السهوة ، و يعاقبه على الفته والحركة ، ويُسرف في أمره ونهيه ، وإذا بالفرد قد أمسى شديد الحساب لنفسه، شديد السخط على ما يفعله أو يفكر فيه ، يرى في أهون أخطائه ذنوباً لا تغتفر ، ويلوم نفسه على أمور لا يلومه عليها أحد ، ويغشاه شعور غامض بأنه مذنب آثم ، حتى وأن لم يكن قد أذنب ، أو أتى شيئاً يستحق عليه العقاب .

ولاقتلاع هذا الشعور الغامض الفتاك الذي تولده (عقدة الذنب) جعل الإسلام الصلاة وسيلة إلى غفران الذنوب ، ومسح ما يعلق منها في ضمير الفرد .. فقد جاء في القران الكريم : ((وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ))[٦٢] .يأمر الله في هذه الآية بإقامة الصلاة في طرفي النهار ، وهي صلاة الفجر والعصر ، كما يأمر بإقامة الصلاة في أوقات متفرقة من الليل قريبة من آخر النهار ، وهي صلاة المغرب والعشاء ، لأن الصلاة تطهر النفوس ، فتتغلب على نزعة الشر ، كما أنها تمحو أُثار السيئات التي قلما يخلو منها البشر ، هذه الحقيقة التي يعلنها القران عن حكمة الصلاة ، وهي عظة للمتعظين ، وإرشاد للمسترشدين .

وقد روي في أسباب نزول هذه الآية ، أن رجلاً أصاب من امرأة (غير زوجته) قبلة فأتى النبي صلى الله عليه واله وسلم فأخبره ، فأنزل الله سبحانه وتعالى ((وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)) فقال الرجل يارسول الله إليَّ هذا ؟ قال : (لجميع أمتي كلهم)[٦٣]

ويقول الرسول صلى الله عليه وأله : ((أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقولون أيُبقي ذلك من درنه ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئا ، قال : كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا))[٦٤]. فالإنسان إذا تركز في ذهنه أن الصلاة تمحو الخطايا ، سواء الواضح منها أو

الخفي ، كان ذلك سبباً لتخليصه من (عقدة الذنب) وما يتولد عنها من أضرار ، وكانت الصلاة تبعاً لذلك سبباً لنجاح الفرد[٦٥] .

المبحث الرابع

الأثر الاجتماعي للصلاة

الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين، وإزالة، الحقد والغل في قلوبهم ، وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم ، وتبادل المنافع يعود عليهم من خير .

فالمسلمون يقفون جميعاً في الصلاة جنباً الى جنب متلاصقين ، رئيس الدول يقف الى جانب أي فرد من أفراد الشعب ، والغني يقف ملاصقاً للفقير ، وأبيض البشرة الى جانب أسودها ، كل هؤلاء يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى ، لا بأموالهم وجاههم ، وأنما بطاعة ربهم ، كلهم يخاطبون ربهم ويعترفون له بالعبودية ، ويطلبون منه الهداية لبعضهم بعضاً قائلين : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ،اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ))[٦٦].

أن الدعوة الى المساواة و الإخاء البشري ، لا تخرج عن كونها نظريات ، إذا لم تُطَبَّق عملياً في حياة المرء وفي تفكيره ، وها نحن نرى بعض الأمم التي تَدَّعي أنها في مقدمة الأمم مدنية وحضارة ، وتَدَّعي الديمقراطية والحرية والمساواة ، نرى أبرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها ، ويهددها بأخطر العواقب التي تؤدي بحضارتها ، وليس بعيداً ما جرى منذ أمد قريب في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أحرق الزنوج كثيراً من المساكن والمخازن في مدينة ((ديترويت)) وغيرها من المدن ، وأحدثوا فيها خسائر مادية تقدر بمئات الملايين من الدولارات ، كل ذلك بسبب التمييز العنصري الذي لم توفق المدنية والحضارة الحديثة في أنتزاعه من قلوب يدعي أصحابها التمدن والحضارة[٦٧] .

وقد كان التشريع الإسلامي موفقاً في جعله ((الصلاة جماعة)) التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية ، والتعصب للجنس واللون ، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان ، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة ، وقد نوه بفضلها وجليل اعتبارها كثير من الباحثين ، من ذلك ما قاله الدكتور (فيلب حتي) أستاذ الآداب الساميّة بجامعة برنتسون في أمريكا في كلامه عن صلاة الجمعة وتأثيرها على المجتمع العربي الإسلامي : حيث قال (و هذه الصلاة الجامعة في وقارها وبساطتها لا يفوقها أي نوع من أنواع العبادات الجامعة ، إذ يقف المصلون معتدلي القامة ، في صفوف يسودها النظام ، في المسجد ، ويتبعون زعامة الأمام بكل دقة واحترام ، ولعمري أن منظرهم ليكون دائماً بالغ الأثر في النفس ، وهذه الصلاة الجامعة ، كوسيلة لابد وأنها كانت ذات أثر عظيم في نفوس أبناء الصحراء المعتزين بأنفسهم المتكبرين .. لقد رقت في نفوسهم الشعور بالمساواة الاجتماعية ، والإدراك لفكرة المصالح المشتركة وتوحيدها ، ولقد ساعدت أيضاً على تقوية الأخوة في

مجتمع المؤمنين ، التي أحلها دين محمد عملياً محل روابط الدم ، وهكذا أصبحت أرض الصلاة الأولى للتدريب في الإسلام))[٦٨] .

صلاة الجماعة أداة للتغير الاجتماعي :

ان الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون وقوانينه ، فكلما جعل للمادة قوانين تحكمها ، وجعل للمجتمعات قوانين أيضاً ، وقد نبه العقل البشري إلى ذلك في قرآنه الكريم ، قال تعالى : ((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ))[٦٩] نجد أن هذا القانون عام يسري على أي مجتمع ، سواء أكان مجتمعاً مؤمناً ، أم لا ،مثلما أن قوانين الجاذبية الأرضية تخضع لها كل المواد ، وليس لمادة بعينها .

وأن هذا القانون لمجتمع ، وليس قانوناً لفرد ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ)) ولم يقل سبحانه ما بفرد ، فالتغيير هنا جماعي ... ويُفسر لنا الأستاذ ((جودت سعد)): إذ الفرد يمكن أن يغير ما به في بعض الجوانب أن هو غير ما بنفسه ، ولكن ذلك ليس في كل الأمور ، خاصة المتصلة بالمجتمع ، إذ لابد من تغيرها حتى ينال الفرد نصيبه ، من هذا التغيير .. وهذا الكلام الذي يقوله الأستاذ جودت سعد في كتابة ((حتى يغيروا ما بأنفسهم)) يُعبر عن حقيقة اجتماعية.. فالمجتمع يؤثر في أفراده شعورياً ، ولا شعورياً سواء أرادوا أم رفضوا .. ومن يدرس علم الاجتماع سوف يجد تلك المعاني .

ولكن هل كان من الممكن أن تكون الصلاة فردية فقط ؟ ، وهي في جوهرها علاقة بين الخالق والمخلوق ؟ أن تأثير الصلاة الفردية لن يتعدى الفرد نفسه من ناحيته النفسية ومن ناحيته العضوية .. أما المصلي من حيث أنه شخص يؤلف مع غيره من الأشخاص النسيج الاجتماعي ، فأن الصلاة الفردية لا تؤثر فيه[٧٠] .

لذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون صلاة الجماعة هي الأساس ، لأنها تشمل الصلاة الفردية في طياتها .. لأن كل مصل داخل جماعة المصلين يتصل بربه أتصالاً لا يشاركه فيه أحد ، وأيضاً صلاة الجماعة تؤثر في مجتمع المصلين حيث أنهم جماعة ، وهذا التأثير هو الذي يؤدي الى التغيير نحو الأفضل ، بروح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي روح الصلاة ، تماماً كما أن كل خلية في الجسم الحي لها نشاطها المستقل ، ولكن بارتباط مع بقية الخلايا تكون الوظيفة العضوية للجسم .

وأن قانون التغيير هذا ، الذي وجهنا إليه القران الكريم ، حتى تستفيد منه الأمة المسلمة ، وتكون أسبق من غيرها في الاستفادة منه ، لا ينطبق هذا القانون على الأمة المسلمة فقط ، بل هو قانون عام لكل الأمم ، فالله سبحانه وتعالى قال في الآية الكريمة (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ، فكلمة قوم لم يخصها بقوم معين ،والتغير الذي أشارت إليه الآية الكريمة يمكن أن يكون إلى الأفضل أو إلى الأسوأ فإذا كان هذا التغيير إلى الأسوأ يكون الحساب للمجتمع بالتخلف والانهيار.

لذا حرص الإسلام على الجماعة ، وربطها بالصلاة ، فتكون الصلاة الجماعية هي نقطة البدء في تغيير ما بأنفس القوم ، وبقدر نجاحهم في هذا يُساعدهم الله في هذا التغيير .. هذه سنة الله في

الجماعات ، كما أن سنته سبحانه في الحديد أنه يتمدد بالحرارة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا))[٧١] .

وموضوع تغيير المجتمعات أصبح علماً ، والكثير من المجتمعات يعمل على تطبيقه ليجمع على التغيير الذي يُريده .. وينبهنا الأستاذ (جودت سعد) الى هذا فيقول : ((وأن حل مشاكل تخلف المسلمين لن يتم إلا إذا تمت السيطرة على تغيير ما بالأنفس)) ، ويضيف قائلاً : (وأي شيء يحث عليه القران الكريم ومن أجله أنزل الله الكتب ، وأرسل الرسل ، وهو تغيير المجتمعات فلهذا كان الإلحاح في القران : أن ينظر الناس الى الذين خلوا من قبل ، والسنة ، (القانون) ، هي التي على أساسها ترتفع وتنخفض المجتمعات))[٧٢] .

من الآثار الاجتماعية للصلاة

وحدة المجتمع الإسلامي وتساوي أفراده :

وتقوم الصلاة بتقديم هذا المُعطى من ناحيتين :

فهي من ناحية تبرز وحدة المجتمع الإسلامي وتساويه ، باعتبارها من اجلّ وأوسع مظاهرها الوحدة والمساواة ، وغني عن البيان أن وحدة المجتمع في الإسلام تقوم على أصول فكرية ، بدلاً من الأصول العرقية والإقليمية ، التي درجت المجتمعات على القيام عليها حتى يومنا هذا ... فالدعوة الإسلامية هي الدعوة الوحيدة التي تصر بطبيعتها على الصفة الفكرية في الدولة والمجتمع ، وترفض كل صفة أخرى غيرها.

والصلاة تبرز الصفة الفكرية في المجتمع الإسلامي في مظهرين من مظاهرها ، عريقين في حياة المجتمع المصلي ، هما : مظهر الالتزام بها ، ومظهر الاجتماع لأدائها .

فالالتزام اليومي بأداء الصلاة من جميع أفراد المجتمع ، يشكل دون شك ظاهرة من ظواهر الوحدة فيه ، خاصة وأن هذا الالتزام يستتبع التزامات أخرى ذات شأن في حياة الآسر و الأفراد .. فالنهوض المبكر من أجل الصلاة ، والتطهر اللازم لها ، والاستجابة لندائها ، وتحديد المواعيد بها قبلاً أو بعداً ، وغير ذلك من مستلزماتها يجعلك تشعر بوحدة المجتمع المصلي ، على اختلاف جنسياته وأقاليمه ، وتشعر بما يدل عليه هذا الالتزام الموحد اليومي الشامل ، من أصول فكرية يقوم عليها المجتمع ويدين بها .

والاجتماع لأداء الصلاة يعكس وحدة المجتمع الإسلامي بشكل ظاهر أيضاً ، وحسبُ الإنسان أن ينظر من ظاهرة الصلاة في الاصطفاف اليومي في المساجد وفي الأعياد وفي الصلاة في موسم الحج لكي يحكم بأن هذا المجتمع المصلي مجتمع واحد في حقيقته مهما اختلفت جنسياته وأقاليمه ، فكيف إذا أضاف إلى ذلك كله وحدةً روحية في هذا الاصطفاف ، ووحدة مركز الاتجاه فيه ، ووحدة المحتوى الفكري الذي يعبر عنه ، والتفت إلى ما يستتبعه هذا الالتقاء من وحدة في شؤون أخرى كثيرة ، وما يقدمه من ثمرات اجتماعية كبيرة[٧٣]

ومن ناحية ثانية ، تقوم الصلاة بتعميق الوحدة في المجتمع الإسلامي ..وذلك لأنها بذاتها تمثل وشيجة فكرية وشعورية بين أفراده .

أن الإسلام يؤمن بأنه لا يكفي لتحقيق الوحدة والمساواة في المجتمع أن تسود المفاهيم و التشريعات النظرية ، في حين يبقى الواقع مفصولاً عنها ، رازحا تحت وضع مضاد لها ، لذلك لا بد في رأيه من القضاء على الهوة الفاصلة بين المفاهيم الخيرة والواقع الشرير .... ولو أن الصلاة الإسلامية طُبقت في مجتمع ما ، لقامت بنصيبها في تجسيد الوحدة والمساواة ، واقعاً حياً معاشاً ، تراه العين وتلمسه اليد(٧٤) ٠

الأمام قائد وموجه اجتماعي :

ألأمام هو قائد التغيير الاجتماعي ، وقدوتنا الحسنة في ذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، الذي احدث التغيير الأجتماعي في مجتمعه بأروع صورة .. ومما يدل على ألأهمية القصوى للإمامة ، أن شروط الأمام في الصلاة تكاد تتفق مع شروط الإمامة العامة للأمة(٧٥) والقيادة أمر خطير بالنسبة للجماعات ، ولذلك نجد أن علم النفس الاجتماعي يولي عناية بالغة لموضوع القيادة ، لما لها من خطورة في توجيه المجتمعات .

لقد أعطى الإسلام القيادة حقها من الأهمية التي تستحقها ، وربطها بالصلاة ، فكان في أيام الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وفي أيام الخلفاء الراشدين ، أمام المسجد والجامع هو الأمام في الجهاد ، ولم يترك الإسلام أختيار الأمام للصدفة ، بل وضع شروطاً معينة حتى لا يتصدر الجماعة من لا يستحق .. وبالتالي تُصاب الجماعة بالضرر البالغ .

وقد جُعلت صلاة الجمعة فرضاً لاجتماع المسلمين على الأقل مرة في الأسبوع : ويقول الله سبحانه وتعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))(٧٦) ، والخطبة جزء من صلاة الجمعة لا تصلح إلا بها .. ويقوم الأمام في الخطبة ببث روح التغيير الى الإصلح ، ويُدعم خطبته بالقران والسنة لقد كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم عندما يخطب ، كان يهدف الى التغيير في سلوك الناس ، لا مجرد الكلام ، ولذلك كانت كلماته الصادقة متصلة بكل ما يهم المسلمين ، وما ينفعهم في دنياهم واخرتهم .. كانت كلماته قليلة لأنها حث على العمل ، وكان صلى الله عليه واله وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، أنما كلمات يسيرات(٧٧).

والأمام يُلقي كلمته في أهل البلدة كلها مرتين في السنة في صلاة العيدين ، حيث يجتمع في العراءِ (أو في المسجد) أهل البلد كلهم ، رجالاً ونساءاً ، كباراً وصغاراً ، الجميع يجتمعون في وقت واحد ، وفي مكان واحد ، لإداء عمل مقدس ، فيقوم الأمام في هذه الجموع بخطبته التي تبغي التغيير إلى الأفضل (٧٨).

أن أمام المسجد هو قائد وموجه أجتماعي ، لذلك لابد من اعداده أعداداً كافياً في فقه الدين والدنيا ، حتى يستطيع أن يوجه المجتمع الى الخير ، وأن يكون قادراً على المشاركة الفعالة في كل الأعمال الهادفة الى تغيير المجتمع المسلم نحو الإفضل ، وبما ينسجم مع روح الإسلام الحنيف .

أما المسجد : فهو المدرسة الأولى التي تخرج فيها المجتمع الإسلامي ، الذي أرسى دعائم الحق والعدل .. وقاد الإنسانية نحو شاطئ السلام ، وبنى حضارة إنسانية رائعة زاخرة بالقيم والمثل العليا .

المبحث الخامس

الآثر التربوي للصلاة

الصلاة مسؤولية تربوية جماعية :

أن الصلاة الفردية تغير من الإنسان كفرد ، والصلاة الجماعية تقوم بعملية تغير اجتماعي ، وهذا هو دور وعمل الصلاة الأساسي ، فهي تؤثر في حياة المصلي الأجتماعية وعلاقته بالآخرين ، وتؤثر في مجتمعه فهي مدرسة تربوية كبرى للأفراد والمجتمعات .

وتتم العملية التربوية .. وعملية التغيير الاجتماعي داخل المسجد .. لأن المصلي يجب أن لا يكون سلبياً داخل المسجد ، فإذا ما رأى أحد المصلين قد أخطأ ، فأنه إذا لم يبادر ليصحح له خطأه ، فأنه يكون شريكاً له في هذا الخطأ ، فلا ينتظر المصلون أن يأتي الأمام ليصحح لكل واحد منهم خطأ ، وأنما كل مصلِ داخل المسجد مسؤول عن هذا الخطأ متى وجده .

وعندما نعلم أن تسوية الصفوف من تمام الصلاة ، فأن الجميع مسؤولون عن الصف فالصف الأعوج لا ينظر الله سبحانه وتعالى إليه ، كما أن تسوية الصفوف من أقامة الصلاة فتسوية الصف أذن عملية تربوية جماعية يشترك فيها جميع الأفراد الذين يُكَوّنون الصف والرسول صلى الله عليه واله وسلم وهو المربي الأول لمجتمع المسلمين يقول ((سوو صفوفكم فأن تسوية الصف من أقامة الصلاة))[٧٩] .

وكان المسجد مركزاً تربوياً للمسلمين ، منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية ، فكانت تدخله العناصر المسلمة ، فيحدث بينها التفاعل ، فتكون النتيجة تغيراً يحدث للجماعة الإسلامية نحو الأفضل ، ولذا كان اول مسجد بني في الإسلام في المدينة المنورة ، وكان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه واله وسلم عندما دخل المدينة ، هذا المسجد هو الذي ربى وخرج تلك التركيبة العجيبة من العناصر المسلمة ، الذين صنعوا مجد الإسلام وغيروا مسار التاريخ .

ويُحدّثنا الأمام الغزالي في كتابه ((أسرار الصلاة)) عن مسؤولية المسلم داخل المسجد وهي المسؤولية التي ترغمه على أن يكون إيجابياً مهتماً بأمر المسلمين فيقول : (حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وأن صدر من جاهل رَفَقَ بالجاهل وعلّمه ، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ، ومنع المنفرد الوقوف خارج الصف ، والإنكار على من يرفع رأسه قبل الأمام ، الى غير ذلك من الأمور ،فقد قال صلى الله عليه واله وسلم (ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه)[٨٠]

، وقال أبن مسعود رضي الله عنه (من رأى من يسيء في صلاته ولم ينبهه فهو شريكه في وزرها) والأصل في هذا حديث بن مسعود عن أحمد والأربعة وأبن حبان : ((من رأى منكم منكراً فليغيرْه بيده ، فأن لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)) .

وبهذا يكون المجتمع المسلم مجتمعاً ديناميكياً ، تسوده روح التغيير نحو الأفضل ، من يعرف الصواب يعلّمه لمن لا يعرف ، وإلا أصبح مسؤولاً عن ذلك .. وأن جماعة المصلين داخل المسجد في عملية أعداد تربوي مستمر ، وبما ينسجم وروح الإسلام الحنيف ، لينتشروا بعد ذلك في الأرض ، هداة مصلحين ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر : ((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ))[٨١] .

وهذه العملية التربوية داخل بيت الله ، فإذا وقعت أمام أحد المصلين في المسجد أساءة ولم يعمل على تغيرها تحمل الوزر مع صاحبها ، وأصبح شريكاً له ، فصلاة الجماعة تحارب السلبية في شخصية المصلين ، وتشحنهم دائماً بحافز العمل من أجل الإصلاح في خط تربوي واضح ومحدد ، يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن خلال الصلاة في المسجد ، تتم عملية تربوية متكاملة ، يتعلم فيها المسلمون جميعاً ، الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، النظام والدقة ، وأمور دينهم ودنياهم ، ويتعلمون آداباً يوصي بعضهم البعض على أدائها ، ومن خرج عنها خرج عن روح السلام ، وعلى من رآه أن ينبهه إلى ذلك ، وإلا أصبح شريكاً له في الوزر ، قال تعالى ((وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ))[٨٢].

والمسجد محل العبادة والصلاة ، فيجب أن لا ترتفع فيه الأصوات ، ولا تمارس فيه التجارة من بيع وشراء ، ويجب المحافظة على نظافته ... وأن يكون الجلوس في المسجد بنظام ،فأن المصلي يجلس حيث ينتهي به المجلس ، وأن لا يتخطى رقاب الناس ، وليس للمسلم أن يدخل المسجد ثم يخرج منه قبل أن يصلي فيه .. أن منهج تربوي رائع ، جاء به الأسلام ، وجعل أمر تبليغه و تنفيذه مسؤولية جميع المسلمين .. وبهذا المعنى يتحول المجتمع المصلي كله إلى أساتذة وطلبة في نفس الوقت .. فتنتشر المعرفة في القول والعمل .. وهذا هو أفضل أسلوب تربوي لنشر الوعي والفضيلة في المجتمع[٨٣] ، أن الصلاة هي السبيل للحصول على السعادة الأبدية ، كما أنها السبيل لسعادة الإنسان في الدنيا ، بما توحي اليه من صفات الخير قال تعالى في محكم كتابه : {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[٨٤] فهي مدرسة تربوية كبرى ومنهج تربوي خلاق .

المبحث السادس

الأثر الصحي للصلاة

أن دراسة المعطيات الصحية للصلاة ، وهي من نوع الدراسات التي تحلل التشريعات الإلهية على ضوء العلم ، وهذه الدراسات تتعرض عادة للإعجاب بالنتائج العلمية الظنية ، وأعتبارها نتائج نهائية ، كما تتعرض للإغراق في تحميل التشريعات ما لا تحتمله من المعطيات ، مما يجعل الربط بينها ، وبين النظريات العلمية ربطاً ركيكاً ، وغريباً في بعض الأحيان .

أن الدراسة الصحية للصلاة يجب أن تبدأ بنظرة موجزة عن العناية الصحية المأخوذة بعين الأعتبار في كل تشريعات الإسلام .. وينبغي أن يستشهد لذلك بأمثلة من تشريعات الإسلام المختلفة ، وبالأخص تشريعات التغذية ، والصوم ، والطبابة والتطهر ، والصلاة .. ثم تبدأ الدراسة بمستلزمات الصلاة ، ثم بفقراتها ذات العلاقة الأكيدة بالصحة الجسدية .. مثل :-

- الأستيقاظ المبكر وعلاقته بصحة الرئة ، ونقاء الدم .
- النوم المبكر وعلاقته بصحة الجسم بشكل عام .
- التطهر بأنواعه وعلاقته بصحة الجسم بشكل عام .
- السواك – المستحب قبل كل الصلاة – وعلاقته بصحة الفم والمعدة .
- الأستنشاق – المستحب قبل كل وضوء ثلاث مرات – وعلاقته بصحة الأنف والرأس .
- غسل الإطراف ، وعلاقته بصحة الأطراف والجسم .
- الوقوف للصلاة باطمئنان ، وعلاقته بصحة الأعصاب .
- الركوع الذي يتكرر في الأقل (١٧) مرة يومياً ، وعلاقته بصحة العمود الفقري وجهاز الهضم .
- السجود – الذي يتكرر في الأقل (٣٤) مرة يومياً – وعلاقته بصحة الجهاز الهضمي ودورة الدم في الرئة والرأس .
- السجود على الأعضاء السبعة – الجبهة والكفين والركبتين وإبهامي الرجلين – وعلاقة ذلك بصحة الشرايين .
- وجلسة التورك المستحبة في الصلاة ، وهي أن يجلس المصلي على فخذه الأيسر ، واضعاً ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى .. وكراهة الجلوس على القدمين ، وعلاقة ذلك بسلامة الفقرات ، والجهاز الهضمي .
- وكراهة أفتراش الساعدين حال السجود (كما تجلس السباع) وعلاقة ذلك بشرايين وعضلات الأطراف[٨٥] .

ثم لابد للدراسة الصحية للصلاة أن تُختَم ببحث مسألتين مهمتين :

الأولى : الرياضة التلقائية التي تعطيها الصلاة ، وأوجه الفرق بينها وبين الرياضة المقصودة .

الثانية : تأثير المعطى النفسي من الصلاة على الوظائف الجسدية المتنوعة[٨٦].

ان أبرز ما تشتمل عليه الصلاة ، هو الركوع والسجود ، وقد سئل (الدكتور مصطفى الحفار) أخصائي في أمراض الجهاز الهضمي ، والأستاذ بكلية الطب الفرنسية ، عن فوائد الركوع والسجود في الصلاة ، فقال :

أن الركوع يفيد في تقوية عضلات جدران البطن ، ثم أنه يُساعد المعدة على التقلص ، ومن ثم على قيامها بوظيفتها الهضمية .. كذلك الأمعاء يسهل لها أن تدفع بالفضلات بصورة طبيعية .

أما السجود : فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فريحها من وطأة التمدد وما ينتج عنه من مضايقات هضمية ، وانعكاسات قلبية .. والسجود وهو ما يُعرف بـ (الوضع الركبي) ينصح به الأطباء لمعالجة التحقن في أسفل البطن عند المرأة ، الناجم عن التواء خلفي في بيت الرحم .

ويقول الدكتور ((فارس عازوري)) الأخصائي في الأمراض العصبية والمفاصل، من جامعات أمريكا : ((أن الصلاة عند المسلمين ، وما تحتويه من : الركوع والسجود ، تقوي عضلات الظهر ، وتلين تحركات فقرات السلسلة الظهرية ، وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن مبكرة ، ويترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي تنتج عن ضعف في العضلات التي تجاور العمود الفقري ، والتي ينشأ عن صنفها أنواع من الأمراض العصبية التي تسبب الآلام الشديدة ، والتشنج في العضلات)) .. هذا وقد أحدث بعض العلماء تمارين لتقوية عضلات أسفل الظهر ، تشبه حركات الصلاة في بعض صورها ، الى حد كبير[٨٧]

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

أستطاع الباحث من خلال مسيرة بحثه .. الخروج بالأستنتاجات الآتية .

١. أن الصلاة فرض واجب على كل مسلم ومسلمة بلغا سن التكليف (وهو العقل والبلوغ) .. وذلك بنص القران الكريم ، والسنة المطهرة ... وأنها ركن من أركان الأسلام الخمسة ..... فمن تركها فقد هدم ركناً من اركانه .
٢. من الصلاة هي أول ما يُسأل المسلم يوم القيامة .. فأن قبلت قبل ما سواها .. وأن رُدت ، رُدَّ ما سواها .
٣. إن على المسلم أن يأمر أهله بالصلاة .. ويصطبر عليها ..بقوله تعالى ((وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها .. لا نسألك رزقاً نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى)) .
٤. أن على المسلم أن يأمر ولده بالصلاة .. منذ نعومة أظفاره ..لكي يعتاد عليها منذ صغره .. لقوله (ﷺ) ((أمروهم لسبع ، واضربوهم لعشر)) .

٥. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ، والمنكر .. فمن لم تنهه صلاته عن ذلك ، فأنه بعيد عن رضا الله تعالى .. لقوله (ﷺ) : ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر .. لم يزدد من الله إلا بعداً)) .

٦. إن الصلاة منهج تربوي ربّاني .. يُقوم السلوك ويُهذب الأخلاق ، ويرهف الأحساسيس .. ويسمو بالمشاعر الأنسانية النبيلة .. و يأمر بالمعروف ..وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ..

٧. إن الصلاة من أسمى العبادات وهي جزء من منهج تربوي فعال ((يُرسى دعائم الخير والصلاح بين الأفراد والمجتمعات ، فيرتفع بالفرد المسلم .. وبالمجتمع المسلم .. الى أسمى درجات العبودية لله تعالى .. وإلى أشرف وأنبل الدرجات الكمال البشري الذي أراده سبحانه وتعالى لعباده .

٨. أن الصلاة هي عبادة مشتركة بين الأديان .. وهي لون من ألوان الابتهال والتضرع الى الله سبحانه وتعالى .

٩. إنها أول عبادة فرضت على المسلمين .. وكان ذلك في مكة المكرمة .. قبل الهجرة بنحو سنة ونصف ، وفرضت وحدها في السماء .. ليلة الأسراء والمعراج ، وهذا الدليل على عناية الله تعالى بها .

١٠. إن الصلاة : ضرورة اجتماعية ، ونفسية ، وصحية وتربوية .

التوصيات :

نظراً لأهمية الصلاة في حياة المسلم وفي سلوكه .. وأثرها الكبير في تشكيل فكره التربوي .. يوصي الباحث بما يأتي :

١. يجب لفت نظر المسلمين (وخاصة الغافلين منهم) الى اهمية الصلاة في حياة المسلم .. في دنياه ، وفي مآله في آخرته ، فهي ركن من أسكان دينه .. والحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، والميزة التي يتميز بها المسلم عن غيره .. فقد جاء عن رسول الله (ﷺ) قوله ((العهد الذي بيننا أي الكافرين الصلاة ، فمن تركها فقد كفر)) وهي الصلاة الروحية بينه وبين خالقه ، بالإضافة الى أنها أو ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة ، لقوله (ﷺ) ((أول ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة الصلاة .. فأن قبلت قبل ما سواها .. وأن رُدّت ردَّ ما سواها))

٢. يجب أن يعلم كل مسلم أن الصلاة هي جزء من منهج الأسلام التربوي .. الذي جاء به محمد (ﷺ) معلم البشرية ، الذي ربى من خلاله المسلمين ، وأدبهم بآدابه بطرق وأساليب شتى تنوعت وأختلفت وبلغت غايتها ، وحققت أهدافها .. وما زالت علوم التربية المعاصرة تجد في أستقصائها وتحاول الوقوف على كنهها ، وعلى سر ما بلغته من نفوس المسلمين إيماناً وسلوكاً .

٣. يجب على كل مسلم أن يواظب على إقامة صلواته في أوقاتها المحددة ، ((أن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا)) .. وأن يأمر أهله بأقامتها ، فهو مسؤول عن ذلك لقوله تعالى : { وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها .. لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)) .

٤. يجب أقامة المساجد ، حينما يتطلب الأمر ذلك .. وتوفير متطلباتها التي تسهل على المسلم داء صلواته فيها بالشكل المطلوب (من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة .. بنى الله له بيتاً في الجنة))

٥. توفير المصليات في المدارس والمعاهد والكليات .. كي يؤدى الطلبة صلواتهم فيها .. لما في ذلك من أثر أيماني في نفوسهم) وإعلاء منزلة هذه الفريضة في نفوسهم ووجدانهم .. مع وجوب مبادرة الأساتذة والمدرسين لإقامة الصلوات فيها.

٦. أن الصلاة .. جزء من منهج تربوي رباني لا مثيل له .. فعلى المسلم أن يتمسك بهذا المنهج .. ويحرص على إتباعه .. والاهتداء بهداه .

الهوامش :-

١- إبراهيم ناصر . مقدمة في التربية ، عمان ، ١٩٧٩ ، ص ١١.

٢- ال عمران : ١١٠ .

٣- القمر : ٤٩.

4- عبد الله حجازي ، المنهج الإسلامي ، جريدة الرأي ، ١٩٨٥/٣/١٥ ، ص ٤.

٥- د٠ محمد ناصر – الفكر التربوي العربي الاسلامي ، ص ١ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ١٠ ٠

٦- سورة الانعام : ١٦١

٧- البقرة : آية : ٢٣٨ ٠

٨- رواه الترمذي ، وأبن ماجه.

٩- المؤمنون : اية (١)

١٠- الفاتحة : أية : ٦ –٧ .

١١- العنكبوت : آية ٤٥ .

١٢- رواه البخاري ، ومسلم .

١٣- الصف : الأية ٢ : ٣ .

١٤- رواه الدار قطني .

١٥- رواه : النسائي ، والترمذي

١٦- د٠ محمد نبيل ،العبادات في الاسلام واثرها في تضامن المسلمين ، المدينة المنورة ، الجامعة الاسلامية ، ٣،١٤ هـ١٩٨٣ م ٠

١٧- سورة الأنعام :الآية ٩٨.

١٨- سورة التوبة : الآية ١٢١ .

١٩- سورة الأنبياء :الآية ٢٥.

٢٠- سورة النحل :الآية ٣٦.

٢١- سورة الأعراف :الآية ٧٣.

٢٢- سورة الذاريات : الآية ٥٦ ، ٥٧ .

٢٣- سورة الأعلى : الآية ٢ ، ٣ .

٢٤- الدكتور يوسف القرضاوي ، العبادة في الإسلام ،الطبعة السادسة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٩.

٢٥- عفيف عبد الفتاح طبارة ، روح الصلاة في الأسلام ، ط١٥ ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٢٦- ترجم هذا النص العلامة محمد فريد وجدي ونشره في مجلة الأزهر ، العدد الثاني ، لسنة ١٩٩٢ ، .

٢٧- رواه الخمسة .

٢٨- سورة النساء :الآية ١٠٣ .

٢٩- سورة التوبة : الآية ١١.

٣٠- متفق عليه .

٣١- رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

٣٢- عن أنس.

٣٣- رواه أحمد وأبو داود .

٣٤- عفيف عبد الفتاح طبارة ، مصدر سابق ، ص ٢٦ ٠

٣٥- علي محمد كوراني ، فلسفة الصلاة ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٩٣ هـ ٠ ١٩٧٢ م٠ص ٣٧٣ ٠

٣٦-. هنري لنك ، العودة الى الإيمان ، ترجمة ثروت عكاشة ، يُنظر عفيف عبد الفتاح طبارة ،ص٢٩ .

٣٧- سورة الروم :الآية ١٧.

٣٨- سورة الماعون : الآية ٤ ، ٥ .

٣٩- سورة طه : الاية ١٤ ٠

٤٠- محمد بهنسي ، الصلاة حياة ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٣١ ٠

٤١- سورة الحشر :الآية ١٩.

٤٢- سورة الأعراف: الآية ٣١ .

٤٣- رواه مسلم .

٤٤- سورة الحجرات : الآية ١٣.

٤٥- محمد بهنسي ، مصدر سابق ، ص ٣٤.

٤٦- سورة الأنبياء ، ٣٧ .

٤٧- سورة الإسراء : ١١.

٤٨- البخاري .

٤٩- رواه الترمذي .

٥٠- سورة التوبة: الآية ٥١

٥١- محمد بهنسي ، مصدر السابق ، ص ٣٨ .

٥٢- سورة الحجر: الآية ٩٨ ، ٩٩.

٥٣- سورة الرعد : الآية ٢٨ .
٥٤- رواه مسلم .
٥٥- سورة العلق : الآية ١٩
٥٦- سورة البقرة : الآية ٤٥ .
٥٧- سورة البقرة :الآية ٤٥ - ٤٦.
٥٨- سورة الحجر : الآية ٩٩ .
٥٩- محمد بهنسي ، مصدر السابق ، ص ٤٥.
٦٠- سورة الفتح :الآية ٤.
٦١- القران و العلم الحديث .
٦٢- سورة هود : الآية ١١٤.
٦٣- صحيح البخاري .
٦٤- صحيح البخاري .
٦٥- عفيف عبد الفتاح طبارة ، مصدر السابق ، ص ٣٧.
٦٦- سورة الفاتحة :أية ٥ ، ٦ .
٦٧- عفيف عبد الفتاح طبارة، مصدر السابق ، ص ١٧٧.
٦٨- تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ط٢ ، ص ١٦٢ -١٦٣ .
٦٩- سورة الرعد : الآية ١١ .
٧٠- محد بهنسي ، مصد السابق ، ص ٢٠٦ .
٧١- سورة فاطر :الآية ٤٤.
٧٢- جودت سعد ، أنظر محمد بهنسي ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩.
٧٣- علي محمد كوراني ، مصدر السابق ، ص ٣٨٦ .
٧٤- المصدر السابق ، ص ٣٨٧.
٧٥- أبن تيمية .
٧٦- سورة الجمعة :الآية ٩.
٧٧- مسلم وأصحاب السنن .
٧٨- محمد بهنسي ، مصدر سابق ، ص ٢١٢.
٧٩- رواه البخاري .
٨٠- أخرجه الديلمي .
٨١- سورة الجمعة : ١٠.
٨٢- العصر : ٣.

٨٣- **محمد بهنسي ، مصدر السابق ، ص ٢٠٢ .**

٨٤- **العنكبوت : ٤٥.**

٨٥- **علي كوراني ، مصدر سابق ، ص ٣٩٥.**

٨٦- **المصدر السابق ، ص ٣٩٥.**

٨٧- **عفيف عبد الفتاح طبارة ، مصدر السابق ، ص ١٣٧ .**

المصادر

١) القران الكريم

٢) كتب الحديث : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وأبن ماجه .

٣) بهنسي محمد ، الصلاة حياة ، تقديم مصطفى محمود ، الأسكندرية ، ١٩٨١ .

٤) طبارة عفيف عبد الفتاح ، روح الصلاة في الإسلام ، الطبعة (١٥)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣.

٥) غنايم محمد نبيل ، العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٦) كوراني علي محمد ، فلسفة الصلاة ، دراسة لدور الصلاة في حياة الفرد والأمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

٧) ناصر إبراهيم ، مقدمة في التربية ، الجامعة الأردنية ، كلية التربية ، عمان ، ١٩٧٩ .

٨) ناصر محمد ، الفكر التربوي العربي الإسلامي ، الجزء الثاني ، الطبعة (١) ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، (بدون سنة نشر) .

The Effect of Prayer in Forming the Islamic Educational Ideology

Abstract:

The Islamic educational ideology is fragmental within many books of the science of Islam and the books of education which are authored by famous authors. They put these educational ideologies in special chapters in their books and in the books of the Islamic philosophical schools that form the Islamic educational theory.

The Islamic educational ideology depends on bases like the different Islamic worships and prayer comes first.

The paper deals with the notion of Islam in general and prayer in particular. It defines prayer and expresses its importance in Islam. It deals with the psychological, social, educational and healthy factors. The paper ends with conclusions and recommendations that are found necessary and important in this field.